

## الفصل الاول

### تمهيد ومقدمة

بقلم شارلز سكر

#### الحياة وعملية التوافق

يُعرف علم الأحياء أو « البيولوجيا » الحياة بأنها نظام دائم التفاعل فيما بين الكائن الحي وبين البيئة التي يعيش فيها . ويستمر هذا التفاعل والتعامل بينهما حتى يصل الحال إلى التوازن والتوافق . فاذا اختلف هذا التوازن بذل الكائن الحي كل جهد ممكن لتغيير الحال حتى تعود الأمور إلى ما تقتضيه من توازن وتوافق بين الكائن الحي وبيئته . وفي كل كائن حي عوامل داخلية منها الدوافع والحوافز والرغبات والضغط والتحرير والحث ، تعمل كلها على استخلاص استجابة مناسبة تؤدي إلى عودة حالة التوازن السالفة . وتشمل الاستجابة : التفكير والوجدان والانفعال والحركة وما إلى ذلك مما يشبع الرغبات ويلبي الدوافع الداخلية .

نرى إذاً أن ما يأتيه الكائن الحي من تصرفات ليضبط ما اختلف من توازنه وليوفق فيما بينه وبين بيئته المضطربة هو عمل موجه نحو هدف معين فهو إذاً عمل فعال يسعى لغرض . ونرى أيضاً أن جميع العوامل الداخلية من دوافع وحوافز ورغبات تقصد هدفاً وتبغى الحصول على استجابة تناسب الحال الناشئة .

ينطبق ما قلناه الآن على الكائنات الحية عموماً ، أما في حالة الإنسان فلا يمكن تحديد معظم الأهداف وتحقيق الحاول المطلوبة إلا إذا رجعنا إلى المحاولات الذهنية أو العقلية التي منها التفكير والتأمل . وقد لا يمكن الوصول إلى بعض الغايات المعقدة إلا بالإرشاد الناتج عن الخبرة .

وفي بعض الأحوال لا يقنع الإنسان بإتباع نظام معين عرفه وتعود عليه . فقد

يحول له أن يبدل ويغير في معلوماته وخبرته وتجاربه لكي يقف على حلول جديدة ويكشف عن طرق مبتكرة . فحالات من هذا النوع تتضمن صفات كثيرة منها الابتكار والاختراع والتحلي بالطابع الشخصي تعرف بالعمل المبتكر المنتج . وقد عرف هو بكنز (Hopkins) العمل الإبداعي المنتج بأنه : « العمل الذي يخلق فكرة جديدة ، أو رأياً حديثاً ، أو حلاً غير معروف ، أو تحليلاً مبتكراً ، أو تركيباً جديداً » وإنه يمثل هذا العمل الإبداعي والخبرة المبتكرة يتسنى للفرد أن يواجه معضلات الحياة بنظام جديد ، وأن يحل المسائل بطرق لم يستعملها من قبل ، وأن يتصرف فيها تصرفاً مبتكراً .

ثم أن كل جديد يتعلمه الكائن الحي وكل خبرة ، يحدثان تغييراً ثابتاً في تركيب الأعضاء الحية ، ويؤثران في تكوينها مما يظهر أثره حتماً في كل ما يأتيه هذا الكائن الحي بعدئذ .

ومن الأمور الأساسية المهمة التي يحسن ذكرها في هذا المجال أن المرء في أي وقت لا يتعلم أمراً واحداً كما يظن البعض ، بل إنه يتعلم أموراً عديدة وأشياء كثيرة مختلفة . وعلى ذلك نرى أن التعلم والتوازن والتوافق عمليات مستمرة في تأدية وظائفها ثم إن التعلم في أي لحظة من لحظات الحياة أمر متنوع كثير الشعب متعدد النواحي مما يبين تعقد هذا النظام وصعوبته .

### التربية عمل ومركنة

علمنا أن الحياة نظام يعمل باستمرار ، من مميزات الحركة والتدرج والإنتاج المفيد . ونقول الآن إن النمو والنضوج وكذلك التعليم تتضمن أيضاً مميزات الحياة وتنمق جميعاً في أنها عمليات فعالة . وما التربية والتعليم إلا حالة خاصة من النظام الاجتماعي أعدته الهيئة الاجتماعية لتدريب الأفراد وإعدادهم للحياة في المجتمع المحيط بهم ، وتهيئتهم لمواجهة البيئة التي سيعيشون فيها . فالتربية إذا ترمى إلى تنظيم المعارف ونشر الثقافة . وتطرق التربية أبواب جميع الهيئات والأنظمة الاجتماعية لتؤدي رسالتها العامة غير أن لها نظاماً خاصاً يتجلى في المدرسة .

## التربية نتيجة

نعود الآن لنقول إن التربية نتيجة ، لأنها تنتج عن النمو والتعلم والخبرة ، فتكسبنا المعارف والمعلومات والعادات والمهارة والميول والمبادئ ونظم التفكير والقدرة على التقدير الفني . أما الخبرة فتشمل إدراك المرء وشعوره وتفكيره وتصميمه وإبداعه في عمله .

وإنه من الممكن - ضمن حدود معينة - قياس الأثر الذي يتركه التعليم في المرء . وبناء على هذا الرأي نشأت الامتحانات والاختبارات والمقاييس . وما كانت غاية « فن الاختبار والامتحان » إلا خلق حالات معينة لكي يواجهها الفرد ويتصرف فيها ثم تقيس تصرفه أو سلوكه فنعلم مبلغ تحصيله ومستواه . وفائدة هذه المقاييس أنها تعين المدرس على حسن أداء وظيفته وتساعد على الوصول إلى الغاية التي يسعى إليها . ويعتمد التعليم من الناحيتين العلمية والفنية لكي يحصل على النتائج التمهيدية المرغوبة - على إعداد الأحوال المناسبة حتى تأتي الاستجابات والتلميحات ضمن الخطط المرسومة المبتغاة .

وتشمل الأحوال المناسبة لتوجيه عملية التعليم الوسائل التي تستعمل لتثنية الاستجابة وإرشادها . نذكر من هذه الوسائل الكلام الشفهي والمطبوع والصور وغير ذلك من عوامل مادية .

وما الصور المتحركة والمسارح والاذاعة اللاسلكية والصحافة ودور الكتب العامة والملاعب الرياضية والمدارس والهيئات الدينية والبيوت والنوادي ، إلا هيئات منظمة أعدتها الهيئة الاجتماعية لكي تقوم بعملها لتربية الأطفال والناشئة حتى يتم توافقهم في نظام اجتماعي دائم التغير .

## أغراض التربية

ولا يمكننا تحديد أغراض التربية وغاياتها تحديداً تماماً لأن هذه الأغراض غير ثابتة وتتوقف على أحوال الفرد نفسه، وما تحتاج إليه الهيئة الاجتماعية، فقد رأى البعض

أن التربية « عملية توافق » ، ورأى آخرون أنها « تربية الكفاية الاجتماعية » ، وقال غيرهم انها « تنمية الشخصية » وقال آخرون أن التربية لا تستوفي معناها إلا اذا شملت هذه العمليات جميعاً (١) .

### تعريف التعليم

التعليم هو حث التلميذ وإلهامه وارشاده ليعمل وحده وليعجز بنفسه حتى يحصل على فوائد معينة وينمو نمواً محسوساً بدنياً وأخلاقياً

وتسمى المدرسة التقليدية في الوصول الى هذا الهدف بأن تقوم باختيار المنهج الدراسي وتنظيمه وتطبيقه على التلاميذ وهي المسؤولة عن جميع الأعمال ، التي هي في المقرر أو خارجه عنه ، ثم أنها تقوم أيضاً بتوجيه كل عمليات التعليم وقياس النتائج كما أنها تشخص عجز التلاميذ وتحال صعوباتهم لكي تصف العلاج اللازم .

أما المدرسة الناهضة فهي التي تتولى إعداد الوسط المناسب وتهيء البيئة الصالحة وتعتمد على غايات التلميذ نفسه لتشجعه على العمل ولترشده الى المحاولات اللازمة لكي يحصل على أغراضه الشخصية ويصل الى غاياته الفردية الخاصة .

(١) العرب : نذكر هنا المبادئ الأساسية التي وضعتها لجنة التربية والتعليم الوطنية في أميركا كغايات أصلية للتربية والتعليم

- ١ - التربية الصحيحة للعقل والجسم
- ٢ - إتقان المعارف الأساسية - القراءة ، والكتابة ، والحساب
- ٣ - المعيشة البيئية الفاضلة
- ٤ - التدريب لمهنة أو حرفة للتعيش من ورائها
- ٥ - التربية الوطنية الصالحة لمعرفة الفرد ما له من حقوق وما عليه من واجبات
- ٦ - كيفية استعمال أوقات الفراغ والاستفادة منها
- ٧ - الأخلاق القويمة

أما الوسائل التي تستعمل للوصول الى الكفاية الفردية والمقدرة على الخدمة الاجتماعية فتشمل الأمور الآتية :

(١) المواد المقررة الداخلة في المنهج الدراسي وتشمل الكتب والخرائط والاذاعة اللاسلكية والصور المتحركة والمسائل والمشروعات والوحدات التعليمية والأعمال ونواحي النشاط وغير ذلك .

(٢) الطريقة التي تستعمل لتقديم هذه المواد الى الطفل ، والوسيلة التي يعتمد عليها في اظهار غاياته ، ورغباته ، وأعماله

(٣) شخصية المعلم وغيره من الأفراد الذين يتصل التلميذ بهم

(٤) نوع الادارة والنظام وسير العمل

(٥) جميع العوامل التي توجد خارج المدرسة مما يؤثر في التلميذ ويوجه نموه .

وفي كثير من الأحيان يتساءلون : هل التعليم علم أو فن ؟ . ومما لا ريب فيه أن الوجهة العلمية في التعليم آخذة في الازدياد لسببين : أولا الاكتشافات العلمية الجديدة التي تضاف باستمرار الى علوم النفس والاجتماع والحياة . وثانيا زيادة ميل المربين لاستعمال الطرق العلمية في دراسة وتحليل ما يواجهونه من معضلات خاصة بمعلمهم .

وعلى هذا يتحتم على كل معلم ناهض أن يلم ببعض المعلومات ويتقن بعض الشؤون في هذا الباب حتى ينجح فيما يؤديه من عمل . هذا فضلا عن تمام معرفته الهدف الذي يسعى اليه من ممارسته لمهنته .

وينبغي على المعلم أن يكون ملماً بالمادة التي يدرسها ، وأن يكون عارفاً بنظام تقديمها لتلاميذه والطريقة التي يستعملها للوصول الى هدفه . وأهم ما يجب على المعلم معرفته هو شخصية المتعلم نفسه وتكوينه الجثائي وطريقة التعلم نفسها وماذا يجري في أثناء ذلك . فان جميع هذه النواحي في التربية ، وكل معرفة منظمة يقصد منها زيادة معلومات المعلم ، وتقوية فهمه لتكون له اليد العليا والسيطرة المطلقة في عمله وليمكنه التأثير في المتعلم التأثير المطلوب حتى يأتي بالنتيجة المرغوبة . وهذا ما يرمي اليه علم التربية والتعليم .

أما فن التربية فإنه يهتم بكيفية الحصول على التغييرات المرغوبة في سلوك الانسان ويسعى وراء تطور المعلومات ، والمهارة ، والميول ، والرغبات ، والمبادئ ، ثم يعمل على تنميتها وتقدمها . والمعلم المتقن هو الذي يأخذ أولاً بالمبادئ العلمية اللازمة لفنه حتى لا يرتكب أخطاء كان يمكن تلافيها .

### علم النفس التسامحي

يهتم علم النفس العام بالاستجابات الناتجة عن كل نوع من الاحوال التي تخلفها الحياة . أما علم النفس البشري فإنه يهتم بالاعمال التي تشمل الانتباه ، والحس ، والتخيل العقلي ، والشعور ، والتفكير ، والوعي ، والفعل . أما علم النفس الخاص بشئون التربية والتعليم فإنه لا يهتم بغير خبرة الانسان وسلوكه مما يأتيه استجابة لأحوال تهيئية .

وتتكوّن الغاية الأصلية في علم النفس الخاص بالتربية من مجموعة حقائق ومبادئ تمكن المعلم من الحصول على أغراضه الثقافية والمهنية . ثم إننا لو عمدنا الى تحاييل الغاية الكبرى التي يسعى إليها علم النفس الخاص بشئون التربية والتعليم لأمكننا الحصول على غايات أخرى متعددة قد تكون كل منها غاية خاصة في حد ذاتها . نذكر فيما يلي بعض هذه الغايات الأكثر أهمية .

( ١ ) تبين أبحاث علم النفس في التربي والتعليم تطور الفكرة وتقدم العقيدة في أن النمو حالة يمكن تحسينها ، كما يمكن اكتساب المعلومات والمعرفة ، والعمل على تقدم السلوك الاجتماعي وتوافق الشخصية . والعمل على تحقيق هذه الغايات يرفع من شأن الحقائق التي يقدمها علم النفس الخاص بالتربية والتعليم إلى المدارس ويزيد في تقدير فائدتها ومن ثم يؤكد قيمة المعلومات التي يتضمنها هذا العلم .

( ٢ ) تساعد على تكوين أغراض التربية ومستواها وتعمل على تحديدها بالنسبة إلى السلوك المرغوب فيه مما يجب أن يكون هدفاً لجميع الجهود التعليمية . فإذا علم المدرس النتائج المرغوبة أمكنه أن يعد الاحوال المناسبة ( المنهج الدراسي وطرق التدريس الخ ) التي تضمن له الحصول على التغييرات التي يريدتها

( ٣ ) تساعد على تكوين خطة محايدة نحو الأطفال غير أن هذه الخطة تكون ملأى بالعطف ومشبعة بالحنو وتعمل على مشاركتهم في الشعور حتى يمكن معاملتهم والحكم على سلوكهم من وجهة موضوعية والعمل على احترام شخصياتهم في كل وقت

( ٤ ) تعين على تحسين فهم طبيعة العلاقات الاجتماعية وأهميتها ، وتبين طرق تنمية العوامل الاجتماعية ووسائلها في الأطفال مثل السلوك مع الغير والاشتراك في الأعمال الاجتماعية التعاونية

( ٥ ) تقدم مجموعة من الحقائق والمبادئ التي يمكن استعمالها في حل مسائل التعليم وتبين كيفية اختيار المواد الدراسية وتنظيمها في سلسلة تدريجية بحيث تكون كل حلقة من مشروع يتضمن معضلة يلزم حلها أو من وحدة فيها مسألة تستوجب الايضاح . ثم تبين بعد ذلك كيف يمكن الارشاد في عملية التعلم حتى لا تعارض المواد والطرق المستعملة مع عملية التعلم نفسها . وتبين أخيراً كيف يمكن توجيه عملية التعلم بأكملها حتى لا يقتصر عمل التعلم على اداء وظيفته في حال معينة لا يتعداها ، بل في كل مكان وفي كل زمان ، في المدرسة وفي خارجها .

( ٦ ) تساعد المدرس على رؤية نتائج أعماله والحكم على ما يؤديه غيره بوسائل لا يمكن الوصول إليها إلا بالرجوع إلى إبحاث هذا العلم . ويضع علم النفس الخاص بالتربية والتعليم القواعد الأساسية والمعلومات الضرورية لفهم عملية التعلم الكاملة بما في ذلك جميع نواحيها المعقدة ، ويبين أهمية الغايات والحاجة إلى فلسفة عملية في التربية ، ويظهر المواد والطرق التي يمكن الاعتماد عليها ، ثم يعطينا وسائل معتمدة صالحة موثوق بها لتقدير النتائج . فإن علم النفس الخاص بالتربية والتعليم يساعد على تنمية خطة علمية لحل المسائل الخاصة بمعضلات التربية والتعليم . ثم إنه يساعد مادياً وعملياً على تدريب الأفراد ليفكروا على حسب قواعد علم النفس في جميع مسائلهم الخاصة بالسلوك الانساني وبالتعليم .

( ٧ ) وتعمل هذه الغايات أيضاً على مساعدة المدرس في أنها تقدم له المعلومات والطرق الفنية لتحليل السلوك - الخاص بنفسه والخاص بالغير - لتسهيل عملية التوافق الطبيعي وزيادة نمو الشخصية .

( ٨ ) تساعد على ابتكار طرق حديثة في التعليم ، وتحديد هذه الطرق وتشجع على استمرارها ، كما أنها تنشئ المناهج الخاصة بالارشاد وتضع أنواعاً عملية في التنظيم والادارة .

### الطرق المستعمدة في مباحث علم النفس الخاص بالتربية

يستعمل علم النفس الخاص بالتعليم الطرق التي تعتمد عليها العلوم في أبحاثها . ويمكننا وصف الابحاث العلمية بأنها : دقيقة ، مضبوطة ، موضوعية لا تتأثر بالعوامل الذاتية ، يمكن مراجعة نتائجها واعادة عمل تجاربها حتى تثبت صحتها ، قام بها اخصائيون ، وتستلزم حياد القائم بالتجربة من حيث أنه لا يتأثر بأراء الغير ولا يتعصب لناحية من النواحي - وهي نفس المميزات التي تتصف بها أبحاث علم النفس التعليمي .